من الملامح الأدائية وأثرها في تحديد المعنى

قصة طالوت وجالوت أنموذجًا

دكتور/ خالد إبراهيم مصطفى متولي العايشة

أستاذ أصول اللغة المساعد في كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بكفر الشيخ – جامعة الأزهر

والأستاذ المشارك في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة جازان

المملكة العربية السعودية

الملخص

- أن الملامح الأدائية من أهم الموضوعات التي لها علاقة وثيقة بالأداء الصوتي المصاحب للكلام؛ لكونها تتعلق بحالة الصوت اللغوي عند النطق بالجملة .
- أن النبر له أثره الدلالي الكبير، إذا حُذِف حرفٌ في النطق وخُشِيَ من اللبس.
- أن للسياق الخاص بالنص والنبر دور كبير في إفهامنا معنى لم يكن موجودا لولاهما .
- أن الإيقاع القرآني يعتمد في مستواه الخارجي على الجانب الصوتي المتولد من تناسق الحروف، من حيث مخارجها، وصفاتها، وحركاتها، ومن أوزان الكلمات، والفواصل القرآنية .
- أن الدلالة الصوتية لفواصل الآيات القرآنية محل الدراسة المتمثلة في الإيقاع والرنين الصوتي، تظهر في ختام هذه الآيات كلها بالمقطع الصوتي الطويل المغلق (ص ح ح ص) ، كما تظهر في ختامها جميعا بالياء والنون (ين) ما عدا آية واحدة ختمت بالياء والميم (عليم) ، ونحن نعلم ما بين النون والميم من تقارب ، مما يوضح مدى التناسق والانسجام بين فواصل الآيات الكريمة .

Summary

• Performance profiles are the most important subjects that are closely related to the sound performance associated with the speech;
• The tone has a great semantic effect, if you delete a letter in pronunciation and fear of confusion.
• The context of text and speech has a great role in understanding what does not exist.
• The Quranic rhythm depends on its external level on the vocal side generated by the consistency of letters, in terms of their exits, descriptions, movements, weights of words, and Koranic passages.
• The vocal connotation of the verses of the Quranic verses in the study of rhythm and phonetic resonance appears at the conclusion of these verses with the long closed syllable (p. Hh), as shown in the end of them all in ja and nun (yen) except for one verse, Alim), we know between the nun and the mim of rapprochement, which demonstrates the harmony and harmony between the verses of the verses.

الآيات الكريمة

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ﴾ (سورة البقرة: ٢٤٦ – ٢٥٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، جعلَ القرآنَ الكريمَ بلسانٍ عربيٍّ مبين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلى آلهِ وصحبهِ الغُرِّ الميامين، وعلى التابعينَ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

وبعـــــــد ،،،،

فاللغةُ مرآةٌ تعكسُ مشاعرَ الإنسانِ وانفعالاتِه واتجاهاتِه النفسيةَ الأخرى، فإذا تأثرَ الإنسانُ نفسيًّا من أي شيءٍ فإنَّ صَدَى ذلك الشيءِ يترددُ في لغتِه، لذلك تُعَدُّ اللغاتُ أصدقَ سِجِلٍّ لحفظِ عاداتِ الأممِ وتقاليدِها، واتجاهاتِ تفكيرِها .

واللغةُ لها قيمةٌ عُظْمَى في التعبيرِ عن الحاجاتِ والمشاعرِ، وعند استخدامِها كأداةٍ للتواصلِ، فلكي يعيشَ الفردُ مع الجماعةِ لابد من الاتصالِ بأفرادِها، ومن الطبيعيِّ أن تكونَ لغتُهُ هي الأداةَ في هذا الاتصالِ، وعن طريقِ إحدى مهاراتها (الاستماع أو التحدث أو القراءة أو الكتابة) يستطيعُ أن يخرجَ من حدودِ الجماعةِ الصغيرةِ ويتصلُ بالمجتمعِ ليحققَ مطالبَهُ، ويطلعُ على ما يجرى فيه من أحداثٍ، وتطوراتٍ، ويكتسبُ خبراتٍ واسعةً، ومعلوماتٍ أكثرَ .

وقد توافرت للغتنا العربيةِ ما لم يتوافرْ لغيرها من ملامحَ أدائيةٍ، ومظاهرَ جماليةٍ تعبيرية، بها "يستطيعُ المتكلمُ الحاذقُ أن يضعَ أفكارَه وأحاسيسَه في أذهانِ سامعيه، وأن يجذبَ انتباهَهم إلى ما يريد، وأن يلفتَ أنظارَهم عما لا يحبُّ، وهو قادرٌ أيضًا على إثارتهم

بمقدارِ قدرتِه على تهدئتهم، إنه كالعازفِ الموسيقيِّ تلعبُ أناملُه بمشاعرِ المستمعين، فيضحكون بعد البكاء، أو ينامون بعد الصحوة"(١) .

وتُعَدُّ الملامحُ الأدائيةُ من أهمِّ الموضوعاتِ التي لها علاقةٌ وثيقةٌ بالأداءِ الصوتي المصاحبِ للكلام؛ لكونها تتعلقُ بحالةِ الصوتِ اللغويِّ عند النطقِ بالجملةِ، فالجملةُ بوصفها كلاماً منطوقاً لا يتأتى معناها المقصود بالألفاظ والتراكيب اللغوية فحسب، بل هناك وسائلُ وأداءاتٌ صوتيةٌ وغيرُ صوتيةٍ تشاركُ في تحديدِ هذا المعنى وتؤثرُ فيه، من بينها اللغةُ الجانبيةُ ، أو الملامحُ الأدائيةُ .

ومن هنا أردتُ أن أدليَ بدلوي في هذا الموضوعِ بدراسةِ الملامحِ الأدائيةِ في بعضِ آيات القرآن الكريم وأثرِها في تحديدِ المعنى (قصة طالوت وجالوت)، وقد دفعني إلى اختيارِ هذا الموضوع ما يلي :

١- شدةُ تعلقي بكتاب الله – عز وجل – الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفِه.

٢- السيرُ في ركابِ العلماءِ الأفذاذِ الذين أثروا الحياةَ العلميةَ بمؤلفاتِهم ودراساتِهم القيمةِ في هذا المجال.

٣- يقيني بأنَّ كتابَ اللهِ عزَّ وجلَّ هو خيرُ مجالٍ للكشفِ عن جمالِ أصواتِ اللغةِ العربيةِ، إذ يُعدُّ القرآنُ أولَ مصادرِها .

٤- بيانُ إلى أي مدًى تساهمُ الملامحُ الأدائيةُ الموجودةُ في النصِّ في تحديدِ المعنى، والكشفِ عنه .

---

(١) علم الصوتيات د. عبد الله ربيع محمود ، د. عبد العزيز أحمد علام : ص٣١٥ – مكتبة الرشد – المملكة العربية السعودية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

ومن هنا جاءت هذه الدراسةُ التي اشتملت على مقدمةٍ وتمهيدٍ وأربعةِ مباحثَ وخاتمةٍ .

ففي المقدمةِ وضحتُ أهميةَ الموضوعِ وسببَ اختيارِه، وفي التمهيدِ بيَّنتُ المعنى العامَ للآياتِ الكريمةِ، وأهميةَ الدراسةِ الصوتيةِ، وأما المباحثُ الأربعةُ فكانت على ما يلي :

المبحثُ الأولُ : **النبر**، المبحثُ الثاني : **التزمين**، المبحثُ الثالثُ : **التنغيم**، المبحثُ الرابعُ : **الإيقاع** . ثم جاءت الخاتمةُ مشتملةً على أهمِّ نتائجِ الموضوعِ، وأتبعتُ ذلك بفهارسَ عامةٍ .

واللهَ أسألُ أن يكونَ هذا العملُ خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينفعَنا به ، وينفعَ به طلابَ العلمِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، وأن يتجاوزَ عما فيه من خطأ أو تقصير، فالخطأ والتقصيرُ من سماتِ البشرِ ، وحسبي أنني اجتهدتُ ، ولا يُحرم المجتهد من أحد الأجرين .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

دكتور

خالد إبراهيم مصطفى متولي العايشة

تمهيد

أولا : المعنى العام للآيات الكريمة

في يومٍ من الأيام ذهب بنو إسرائيل إلى نبيهم يطلبون منه أن يبعث الله لهم ملكًا يجتمعون تحت رايته، ويحاربون في سبيل الله؛ لأنهم مظلومون ومشردون في الأرض، وذلك حتى يستعيدوا مجدهم ، فردّ عليهم نبيُّهم وهو يعلم ما بداخلهم : وهل ستقاتلون عندما يأمركم الله بذلك و يكتبه عليكم ؟! قالوا : نعم، ولماذا لا نقاتل في سبيل الله وقد طردنا من ديارنا وشردنا وساءت أحوالنا؟! قال نبيُّهم : إذًا قد اختار الله لكم طالوت ملكًا تجتمعون تحت رايته . قال بنو إسرائيل : كيف يكون طالوت ملكًا علينا وهو ليس بغنى، وليس من العائلات التي يخرج منها الملوك أي أبناء يهوذا ؟ رد نبيهم : إن الله قد اختاره وفضله عليكم لعلمه وقوة جسده . قالوا : وما هي آية ملكه ؟ أي دليل ملكه. قال نبيهم : سيُرجع طالوت إليكم التابوت تحمله الملائكة .

وبالفعل قد وقعت هذه المعجزة بأمر الله وعادت التوراة إليهم يوما، فكوّن طالوت جيشا وجهزه، وقد سار الجيش طويلا حتى شعر الجنود بالعطش الشديد . فقال الملك طالوت لجنوده : سنقابل بعد قليل نهرًا، فمن شرب منه فليس منا، أي يخرج من الجيش، ومن لم يذقه وإنما قد بلّ ريقه منه فقط فهو منا ومعي في الجيش. وعندما جاء النهر شرب منه الكثير من الجنود ضعيفي الإرادة، وخرجوا من جيش طالوت. وقد أعد طالوت هذا الاختبار خصيصًا لمعرفة من يطيعه ومن يعصاه من جنوده، وليعرف أيضًا أيهم قوى الإرادة والعزيمة ومن يُهزَم ويستسلم سريعًا. وبعدما عبر طالوت النهر لم يتبق من جيشه سوى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ولكنهم كانوا من الرجال الأشداء الأقوياء والمخلصين .

كان عدد جيش طالوت قليلا مقارنة بعدد جيش العدو وهو جيش جالوت، وقد فكّر في هذا بعضٌ من جيش طالوت، وقالوا : كيف سنتمكن من هزيمة جيش جالوت وهم أكبر منا عددا وعتادا ؟! فقال المؤمنون من جيش طالوت : إن النصر من عند الله وليس بالعدد والعتاد فثبتوهم بقول الله تعالى : " كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ " .

وظهر جالوت بدروعه وأسلحته القوية وعتاده، وطلب أحدًا يبارزه، فخاف منه جنود طالوت جميعا، حتى برز من جيش طالوت راعى غنم بسيط وفقير يدعى داود . وكان داود مؤمنا بالله عن صدق، ويعلم أن قوة النفس يستمدها المرء من إيمانه بالله، وليس بالعدة والعتاد، ويعلم أن الله هو الذي ينصر عبده. وكان طالوت قد وعد بأن من يقتل جالوتَ يعيّنه طالوتُ ملكا على جيشه ويزوجه ابنته، ولكن داود كان يريد قتل جالوت لأنه طاغية وظالم لا يتقى الله ولا يؤمن به، ولذلك أراد قتله ليس للحصول على الملك أو للزواج بابنة طالوت. وهكذا تمت المبارزة بين داود، وكان معه عصاه وخمسة أحجار ومقلاعة الرعاة، وجالوت بعدته وأسلحته القوية، والدروع، فسخر جالوت من داود؛ لضعف مظهره وضحك منه واستهان بقوته، فما كان من داود إلا أن وضع حجرًا قويًا فى مقلاعته وطوّح به فأصاب جالوتَ فقتله، واحتدم القتال بين الجيشين، وانتصر جيش طالوت بإذن الله عز وجل، وصار داود ملكا ونبيا لبنى إسرائيل فجمع الله عليه الملك و النبوة .

ثانيا : أهمية الدراسة الصوتية

لقد أدرك اللغويون المحدثون أهمية هذا العلم والخدمات التي لا يكاد أن يقوم بها ، والدور الذي يؤديه عند كل مستوى من مستويات التحليل اللغوي ، لذا لا يكاد يوجد اليوم كتاب عند اللغويين من كتب علم اللغة الحديث إلا ويفرد مباحث متعددة لدراسة الأصوات اللغوية عند الإنسان وما يتصل بها، هذا بالإضافة للكتب المستقلة التي خصصت لهذا العلم، فللجانب الصوتي أهمية عند كل مستويات التحليل اللغوي(١) .

إن الوظائف والقيم الخلافية ومعطيات علم الأصوات هي الوسيلة للكشف عن النظام الصوتي للغة . ويتم الكشف عن هذا بواسطة العمل على تبويب العدد الكبير من الأصوات المسموعة الملاحظة المسجلة إلى أقسام بحسب مخارجها وصفاتها ولكن التشابه أو التخالف في المخرج أو الصفة أو فيهما معا لا يصلح وحده أساسا لتحديد الحروف فقد يتفق الصوتان في كل شيء حتى يخفى على غير ذي الخبرة حين يسمعها أن يفرق بينهما ، وذلك كاتفاق صوتي الميم والنون مخرجا وصفتا في كلمتي (ينفع) و (هم فيها)، وكذلك في (أكرم به) و (ينبح)، فالدراسة الصوتية ممهدة للدراسة الصرفية والنحوية ، وهي عنصر من عناصر دراسة المعنى اللغوي ، وأحد العوامل الرئيسة في تحديده وفهمه ، كما أنها ذات دور هام في العمل المعجمي ، وتحديد طرق نطق المفردات وكيفيتها ، فلا يمكن أن تتم دراسة الصيغ، أو الدراسة الصوتية في صورتها المثلى، إلا وهي معتمدة على الدراسة الصوتية، فمباحث الصرف مبنية في أساسها على ما يقرره علم الأصوات من حقائق وما يرسمه من حدود . كما أنه لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات، ومثله علم النحو وعلم الدلالة والمفردات والمعجم .

ومن هنا يصبح من الضروري أن تدخل القيمة الخلافية الوظيفية في الطريقة التي تحدد بها حروف النظام الصوتي بحسب الوظيفة وتستخدم هذه القيمة الخلافية في التقسيم بوساطة النظر في الوظيفة التي تتجلى في إمكان التداخل في الموقع والتخارج فيه بالنسبة لكل الأصوات التي بين أيدينا والتي نريد أن نبوبها في صورة حروف(٢) .

وكذلك الدراسة النحوية لا تتم في صورتها المثلى دون الاعتماد على الأصوات، فالتنغيم من مراحل الدراسة النحوية الهامة . وهو أحد عناصر الدلالة – وكذلك النبر من عناصر الدراسة النحوية

---

(١) في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق، د. البدراوي زهران، ص ١٨ – دار المعارف – الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

(٢) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان : ص٧٣ – دار الثقافة ١٩٩٤م .

وهدفه دلالي ، ومثله الوقف ومصطلح السكتة ، أي الوصلة أو الانتقال ، وهي دراسة نحوية دلالية تتحدد في ضوئها مكونات الكلمة والجملة الصوتية من خلال تحليلها النحوي وعناصر أخرى كثيرة تسهم بها المباحث الصوتية في مجال الدراسات اللغوية بصفة عامة تظهر من خلال التحليلات الصوتية .

لذا فإن لهذا العلم أهمية كبيرة تبدو جلية واضحة في ميادين كثيرة من أهمها (١):-

١) التحليل العلمي للغة ، فدراسة أية لغة، أو لهجة، في مستوياتها المختلفة: الصرفية، والنحوية، والدلالية لابد له من معرفة بعلم الأصوات .

٢) دراسة اللغة من النواحي التاريخية والوصفية ، والمقارنة .

٣) علم الأصوات يقدم المعونة والمساعدة لمهندسي الصوت .

٤) المساعدة في بناء الألفبائيات، والمعاجم اللغوية، وإدخال التحسينات عليها .

٥) تعليم الأداء أو إجادة نطق اللغة الوطنية للمتكلم ، وتعلم نطق اللغات الأجنبية ، وعلم الأصوات هو القاعدة الأساسية لأي تعليم من هذا النوع .

٦) خدمة وسائل الاتصال المختلفة، والكلام الصناعي.

٧) يفيد الدراسات الأدبية، من بلاغة، ونقد، وموسيقى ، وشعر ، وأساليب .

٨) يفيد في دراسات علوم غير لغوية، كعلم النفس، والاجتماع، والفسيولوجيا، وفسيولوجيا الأعصاب وغيرها .

٩) يساعد في تعليم الصم والبكم، ومعالجة عيوب النطق والكلام والسمع وأمراضها من مثل : حالات اللثغ المختلفة، والإصابة بمرض الخنك المشقوق، وإصلاح بعض العادات الصوتية غير الصحيحة .

---

(١) ينظر : دراسة الصوت اللغوي د . أحمد مختار عمر : ٤٠١ – ٤٠٩، عالم الكتب ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

المبحث الأول : النبر

النبر في اللغة مأخوذ من مادة (ن ب ر) التي تدل على علو وارتفاع ، يقول ابن فارس : " النون والباء والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على رَفْع وعُلُوّ "(١) ، وكان القدماء يطلقونه ويعبرون به عن الهمز، ففي اللسان : " النَّبْرُ بالكلامِ : الهَمْز . قَالَ : وكلُّ شَيْءٍ رَفَعَ شَيْئًا، فَقَدْ نَبَرَه. والنبْرُ: مَصْدَرُ نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُه نَبْراً هَمَزَه."(٢) .

وفي الاصطلاح : هو " نشاطٌ في جميعِ أعضاءِ النطقِ في وقتٍ واحدٍ "(٣)، أو هو : " إعطاءُ بروزٍ معينٍ لأحدِ مقاطعِ الكلمةِ دون المقاطعِ الأخرى"(٤) .

فالكلماتُ التي نتكلمُها تتكونُ من أصواتٍ متتابعةٍ، وليست هذه الأصواتُ في الكلمةِ بنفسِ القوةِ، وإنما تتفاوتُ قوةً وضعفًا بحسبِ الموقعِ، وكون صوتٍ من الأصواتِ في الكلمةِ أقوى من بقيتها يسمّى النبر(٥) .

وظاهرةُ النبرِ في القرآنِ الكريمِ من الظواهرِ الدقيقةِ التي لا ينتبه إليها كثيرٌ من القراءِ، على الرغم من أنّ وضعَ النبرِ في غيرِ موضعِه قد يؤدي إلى فسادٍ في المعنى، فـ " حين يتحدثُ الإنسانُ بلغتِه يميلُ في

(١) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) : (ن ب ر) – دار الفكر بيروت .
(٢) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) (ن ب ر) – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ .
(٣) الأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس : ص٩٧ – مكتبة نهضة مصر .
(٤) البحث اللغوي عند العرب د . أحمد مختار عبد الحميد عمر : ص١٦٦ – عالم الكتب – الطبعة الثامنة ٢٠٠٣م .
(٥) ينظر : مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان : ص١٦٠ – الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية .

العادةِ إلى الضغطِ على مقطعٍ خاصٍ من كلِّ كلمةٍ ليجعله بارزًا أوضحَ مما عداه من مقاطعِ الكلمةِ ، وهذا الضغطُ هو الذي يسميه المحدثون من اللغويين بالنبر (stress) "(١) .

** الوسائلُ المصاحبةُ للنبر

١ – الشدّة :

وترتبطُ الشدّة " بوجهٍ عام بالضغطِ تحتَ الحنجرةِ ومستوى الضغطِ الصوتي"(٢)، ففي حالةِ الصوتِ المنبورِ يكونُ الضغطُ على الرئتين أشدّ، وعندما يكونُ عاملُ الشدةِ هو الغالبَ في إثارة الإحساسِ بالنبرِ عند السامعِ يسمَّى النبرُ نبرَ شدةٍ، وقد يسمّى بالنبر الديناميكي، وقد تكون هذه الشدةُ هي التي يتمُّ تقسيمُ النبرِ من خلال درجتها إلى نبرٍ قويٍّ ونبرٍ ضعيفٍ(٣) .

٢ – النغمة :

وتفسّر فسيولوجيًّا بالتردد الأساسي الذي هو مقدارُ اهتزازِ الوترين الصوتيين، يقول الدكتور عبد الله ربيع : " يؤدّى انطباعُ النغمة دورًا ملحوظًا في التعرف على النبر وفى إدراكه، ولكنَّ تحديدَ هذا الدور ليس سهلًا "(٤)، وإذا كانت النغمةُ هي العنصرَ الغالبَ في نبرِ الصوتِ يسمَّى النبرُ نبرَ نغمة ، ويرى الدكتور عبد الله ربيع أنَّ النبرَ فى العربيةِ المصريةِ خليطٌ من النبر الديناميكي والنغمي(٥)، بينما يرى هنرى فليش أنَّ " العربية لا تتصف بشيءٍ من هذا النبر، سواءٌ منه الديناميكي والموسيقى "(٦) .

---

(١) المدخل إلى علم اللغة : ص١٠٣ .

(٢) النبر فى نطق العربية الفصحى فى العالم العربى د. عبد الله ربيع محمود : ٢٧– مكتبة المدينة.

(٣) انظر : النبر فى نطق العربية الفصحى : ٥١ .

(٤) النبر فى نطق العربية الفصحى فى العالم العربى : ٢٧.

(٥) السابق : ٤٨ .

(٦) العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي لهنري فليش : ٢٤٣ – تعريب وتحقيق وتقديم د . عبد الصبور شاهين – مكتبة الشباب .

٣- الطول :

ويقصَدُ به "الزمن الذي يستغرقه النطقُ بالصوت"(١): أي الكمّ الزمني للصوت، ويفسّر فسيولوجيا بـ" طول الإجراءات التي تقومُ بها أعضاءُ النطقِ ودقة إحكامها في إخراج الصوت المنبور "(٢)، فإذا كان النبرُ عن طريقِ الزمنِ سمّى النبرُ نبرَ طولٍ، أو نبرَ زمنٍ(٣).

٤- لون الصوت :

ويقصَدُ به وضوحُ الصوتِ الناتجِ عن دقةِ إحكامِ أعضاءِ النطقِ عند نطقِ الأصوات، " فكلما كانت هذه الأعضاءُ أكثرَ إحكامًا ، فإنَّ الصوتَ يكون أوضحَ وأكثرَ احتفاظًا بمشخصاته"(٤)، فى حين أنَّ الصوتَ غيرَ الواضحِ تكونُ الأعضاءُ فيه متراخيةً(٥)، فإذا جاء النبرُ عن طريقِ تغييرِ لونِ الصوتِ سمّى نبرَ اللونِ، أو النبَر اللونىّ(٦) .

وقد اختلفت آراءُ العلماءِ حولَ وجودِ النبرِ في العربيةِ الفصحى، ومكانهِ في الكلمة، فبينما يقول بروكلمان : "في اللغة العربية القديمة، يدخل نوعٌ من النبر، تغلبُ عليه الموسيقية، ويتوقفُ على كميّةِ المقطع، فإنه يسيرُ من مؤخرةِ الكلمةِ نحو مقدمتها، حتى يقابلَ مقطعًا طويلًا، فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمةِ مقطعٌ طويلٌ، فإنَّ النبرَ يقعُ على المقطع الأول منها "(٧)، ويرى برجشتراسر " أنه لا نصَّ نستندُ عليه في إجابةِ مسألة، كيف كان حالُ العربيةِ الفصيحةِ في هذا الشأن ؟ ومما يتضحُ من اللغة

(١) الأصوات اللغوية :١٥٤.
(٢) النبر فى نطق العربية الفصحى :٣٠.
(٣) انظر المختار من علم الصوتيات :٢٣٢.
(٤) النبر فى نطق العربية الفصحى فى العالم العربى :٣١.
(٥) السابق : ص٣٢ .
(٦) انظر المختار من علم الصوتيات : ٢٣٣.
(٧) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د. رمضان عبد التواب : ص١٠٣ – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م . وينظر : فقه اللغات السامية تأليف المستشرق الألماني كارل بروكلمان : ص٤٥ – ترجمه عن الألمانية د . رمضان عبد التواب – ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م .

نفسِها، ومن وزنِ شعرِها، أنَّ الضغطَ لم يوجد فيها، أو لم يكد يوجد، وذلك أنَّ اللغةَ الضاغطةَ، يكثرُ فيها حذفُ الحركات غيرِ المضغوطة، وتقصيرِها، وتضعيفِها، ومدِّ الحركاتِ المضغوطة، وقد رأينا أنَّ كلَّ ذلك نادرٌ في اللغةِ العربيةِ"(١) .

ويردُّ الدكتورُ رمضان عبد التواب على برجشتراسر بقوله : " أمّا إنه ليس لدينا نصٌّ، نستند إليه في معرفةِ حالةِ النبرِ في العربيةِ القديمة، فهذا صحيحٌ، وأمّا إنّ العربيةَ لم تكن تنبر، فإننا نشكّ في ذلك الذي قاله برجشتراسر، وهو يغفل في كلامه التطورَ اللغويَّ، وتأثيرَ الشعوب المختلفة، التي غزتها العربيةُ، بعاداتها القديمة في النبر، وأثرَ ذلك في اختلافِ موضعِه من الكلمة، كما يبدو لنا الآن، في تعددِ طرقِ النبرِ في مثل كلمة : (مطبعة)"(٢).

** قواعد النبر في اللغة العربية وتطبيق ذلك على الآيات

لا ندري كيف كان العربُ ينبرون الكلمات، إذ ليس لدينا تسجيلٌ لهذه الظاهرة، ولا ندري بالتأكيد موضعَ النبرِ في العربية الفصحى . ولما كانت القراءاتُ القرآنيةُ المعاصرةُ على لسانِ القرّاء ممثلة إلى حدٍّ كبيرٍ للنطقِ العربيِّ الفصيحِ الذي تناقلته الأمةُ العربيةُ جيلًا بعد جيل، استنبطت على هديها مواضع النبر في العربية القديمة وهو ما ينطبق على العربية الفصحى المعاصرة . وقد حددت مواضعُ النبر فيها كما يلي :

١- يقع النبرُ على المقاطعِ الطويلة في الكلمات التي تشتمل عليها، أي أنَّ الكلمات التي تحوي أي مقطع من الأنواع : الرابع (ص ح ح ص)، أو الخامس (ص ح ص ص)،أو السادس (ص ح ح ص

(١) السابق : ص١٠٣ ، ١٠٤ . وينظر : التطور النحوي ص٤٦ .
(٢) السابق : ص ١٠٤ .

ص) فإن النبر فيها يكون على هذه المقاطع(١).فالكلمات﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢)،﴿عَلِيمٌ ﴾(٣)، ﴿مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٤) ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (٥)،في حالة الوقف يكون النبر فيها على المقطع الأخير .

٢- يقع النبر على المقطع الذي قبل الأخير إذا لم يسبق بمقطعين متواليين من النوع الأول، ولم يكن الأخير طويلًا مغلقًا(٦)، وذلك مثل المقطع الثالث من كلمة ﴿دِيَٰرِنَا ﴾ (٧) .

٣- إذا سُبق المقطع الذي قبل الأخير بمقطعين أو بثلاثة مقاطع متوالية من النوع الأول ، فإنّ النبرَ حينئذ يكون على المقطع الأول(٨)، وذلك مثل نبر المقاطع الأولى في الكلمات : ﴿كُتِبَ ﴾(٩)، ﴿بَعَثَ ﴾(١٠) .

٤- إذا اشتملت الكلمة على مقطع واحد، فإنّ هذا المقطع يكون منبورًا مثل ﴿قَدۡ ﴾ (١١) .

(١) مقدمة في أصوات اللغة العربية د . البركاوي : ص١٩٦ – الطبعة الثانية .
(٢) سورة البقرة /٢٤٦ .
(٣) سورة البقرة /٢٤٧ .
(٤) سورة البقرة /٢٤٨ .
(٥) سورة البقرة /٢٤٩ .
(٦) مقدمة في أصوات اللغة العربية د . البركاوي : ص١٩٦ .
(٧) سورة البقرة /٢٤٦ .
(٨) مقدمة في أصوات اللغة العربية د . البركاوي : ص١٩٦ .
(٩) سورة البقرة /٢٤٦ .
(١٠) سورة البقرة /٢٤٧ .
(١١) سورة البقرة /٢٤٦ .

٥- الكلمات المكونة من ثلاثة مقاطع، مثل قوله تعالى: " فلمّا "(١) بنبر اللام، "ونحن "(٢) بنبر النون ، "وقال"(٣) بنبر القاف ، "فليس"(٤) بنبر اللام . فالأساس النفسي العلمي لهذا النوع من النبر هو أنّ العربية تغلب فيها الجذورُ الثلاثية على غيرها .

٦- النبر بالوقف على الحرف المشدد المتطرف، وذلك إذا وقفنا على قوله تعالى : " لنبيّ "(٥) والهدف من النبر عدم تضييع التشديد على الحرف .

(١) سورة البقرة /٢٤٦ .
(٢) سورة البقرة /٢٤٧ .
(٣) سورة البقرة /٢٤٧ .
(٤) سورة البقرة /٢٤٨ .
(٥) سورة البقرة /٢٤٦ .

النبر وأثره في الدلالة

١- إذا حُذِف حرفٌ في النطق وخُشِيَ من اللبس، فإنَّ القارئ يحتاج إلى ضغطةٍ خفيفةٍ أو نبرِ الحرف، حتى يظهرَ أثناءَ النطق به، من ذلك قوله تعالى:﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾(١) فربما قرأها القارئ (أنّ يكون) مشددة النون بلا ألف ، فتلتبس (أنّى) الاستفهامية بـ (أنّ) المشددة .

٢- قد ينطق القارئُ الكلمةَ بتشكيلٍ صحيحٍ ومخارجَ سليمةٍ ثم يُعطي معنىً مخالفًا للمراد مثل قوله تعالي: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾ (٢) فيَقرأ كلمة (ألم) مثل كلمة (قلم) مثلًا فكأنها من الألم ، فليس بين الكلمتين أيُّ فرقٍ في الصوامت والحركات ، وإنما الفرق بينما في موقع النبر ، ومن ثمّ فلا بدَّ من تمييز حرفِ الهمزة والصبرِ علي حركتها دون الإسراع، فيكون حينئذ بمعنى الاستفهام وهذا ما يُعرف بالنبر .

٣- في قوله تعالى : ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٣) هذا الجزء من المقطع يمكن قراءته دون نبرِ أيٍ من كلماته، فيكون المعنى : وأيُّ داعٍ لنا إلى ترك القتال، وأيُّ غرضٍ لنا فيه وَقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَأَبْنائِنا، وذلك أنّ قوم جالوت كانوا يسكنون ساحلَ بحر الروم بين مصر وفلسطين، فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين(٤) . فإذا ما قُرِئت بنبر كلمة (وما لنا) يكون غرضَهم السؤالُ عن حالهم ، والمعنى ما المانعُ لدينا من القتال ؟

أما إذا ما نبرنا كلمة (نقاتل)، فيكون المعنى المقصودُ هو استفسارَهم عن عدم القتال ، والمعنى : وأيُّ شيء يجعلنا ألا نقاتلَ وقد وترنا وأخرجنا من ديارنا ؟

---

(١) سورة البقرة /٢٤٧ .
(٢) سورة البقرة /٢٤٦ .
(٣) سورة البقرة /٢٤٦ .
(٤) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) : ٢٩١/١ – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

وأما إذا ما نبرنا كلمة (في سبيل الله) يكون استفسارهم عن عدم خروجهم للقتال في سبيل الله، أي إذا كان القتال في سبيل الله فما المانع لدينا من الخروج ؟

وبذلك يكونُ السياقُ الخاصُّ بالنصِّ والنبرِ قد تضافرا في إفهامنا معنىً لم يكن ليكون لولاهما .

المبحث الثاني : التزمين

التزمين مصطلحٌ صوتيٌّ حديثٌ لم يظهر في كتاباتِ ودراساتِ العلماءِ السابقين من العرب ، وهو مشتقٌ من مادة (زمن) وهي تدلُّ على معنى الوقت ، ففي اللسان : "الزَّمَنُ والزَّمانُ : اسْمٌ لِقَلِيلِ الْوَقْتِ وَكَثِيرِهِ، وَفِي الْمُحْكَمِ : الزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ، وَالْجَمْعُ أَزْمُن وأَزْمان وأَزْمِنة." (١)

والتزمين هو المرآةُ التي تعكسُ لنا عواطفَ المتكلمِ وانفعالاته ويعرّف بأنه "السرعةُ التي يتخذها المتكلمُ ويحسُّها السامعُ نحو الكلامِ المنطوقِ، سواء أكان كلمةً أو جملة، ويمكن وصفُ هذه السرعةِ بأنها بطيئةٌ أو سريعةٌ أو متوسطة"(٢) .

وهو عنصرٌ هامٌّ في الأداء الذي يؤثرُ على فهمِ المسموع، والإحساسِ بانفعالاتِ المتكلمِ أو الحالة النفسية المصاحبة للنص . وفي هذا يقول د . عبد العزيز علام(٣) : "إنَّ السرعةَ التي يتخذها المتكلمُ ويتخيرُها لكلامه تختلفُ من موقفٍ إلى آخر، ومن فنٍّ من فنونِ القولِ إلى فنٍّ آخر، ومن حالةٍ سيكولوجية كالحزنِ إلى حالةٍ أخرى كالفرح مثلًا، وأنّ السرعةَ التي تتكلمُ بها عندما تريدُ أن تؤكدَ كلامَك وتَلفِتُ إلى أهميته ، غيرُها عندما تُلقِي الكلامَ لمجردِ الإخبارِ والإفادة . ومن ثمّ كانت عنايةُ الدراساتِ الصوتيةِ بتلك السرعةِ التي عُرفت بـ(تمبو) الكلام، أو بـ (التزمين) "(٤) .

ويمكنُ تحديدُ معدّلِ النطقِ من حيثُ البطءِ والسرعةِ (قياس التزمين) من خلالِ تحديدِ الكمِّ الزمني الفعلي الذي استغرقته الأصواتُ أو الكلماتُ المنطوقةُ، ثم تحديدِ عددِ الأصواتِ الفعليةِ التي نطقت، ثم تُقَسَّمُ الأصواتُ المنطوقةُ على الزمنِ الكليّ، فينتج معدل النطق، وذلك يُعرَفُ عند علماء الأصوات بـ "قياس التزمين".

---

(١) علم الصوتيات : ص٣٤٥ .
(٢) علم الصوتيات : ص٣٤٥ .
(٣) هو أول باحث لهذه الظاهرة في اللغة العربية الفصحى في رسالته للدكتوراه بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر ١٩٧٤م .
(٤) علم الصوتيات : ص٣٤٤ .

ويكشف لنا معدلُ النطق عن نوعية التزمين هل هو سريعٌ، أو بطيءٌ، أو سريعٌ جداً، أو بطيءٌ جداً، أو متوسطٌ. ثم يأتي بعد ذلك دورُ الدراسةِ والربط بين نوعية التزمين والمعنى أو الدلالة .

- **وظيفةُ التزمين**

ذكر الدكتورُ عبد العزيز علام(١) أنَّ للتزمين وظائفَ يقومُ بها ، ومن أهمِّها أنَّ :

١- التزمينَ هو المرآةُ التي تعكسُ لنا عواطفَ المتكلمِ وانفعالاتِه ، فإذا كان فَرِحًا مسرورًا فإنه يتحدثُ بسرعةٍ كبيرة، وإذا كان حزينًا تحدث ببطءٍ ملحوظٍ، وإذا كان في موقفٍ حماسيٍّ نطق بسرعةٍ ثالثة، وإذا كان غاضبًا نطق بسرعةٍ رابعة .

٢- التزمينَ من العناصرِ المهمةِ في صنعِ الإيقاع، سواء أكان في الشعر أم في النثر، كما هو الشأنُ في الموسيقى .

٣- التزمينَ مرتبطٌ بخط المعنى، فالكلماتُ التي تحمل أفكارًا مهمةً ينطقها المتكلمُ بسرعةٍ أبطأ من الكلمات التي لا تبلغ تلك الأهمية .

٤- التزمينَ من الوسائلِ التي تحققُ المطابقةَ لموقف الكلام وحال المتكلم، فإذا كان الموقف يتطلب تزمينًا سريعًا، أو بطيئًا، أو بين ذلك التزم المتكلم بالسرعة الملائمة، وبدون ذلك تتخلف المطابقة .

٥- بالتزمين يقسِّم المتكلمُ كلامَه إلى جُملٍ، والجملةَ إلى مجموعاتٍ معنويةٍ، عن طريق أنه مشخصٌ من مشخصات كلٍّ منهما .

أثر التزمين في الدلالة

قامت دراسةُ نظامِ التزمين في اللغة العربية على أبعادٍ ثلاثة، البعد الأول : الحالات النفسية للمتكلمين، وقد سبق بيانه . والبعد الثاني : البناء النحوي للجملة، حيث يرتبط نوعُ التزمين بنوع التركيب

(١) السابق : ص٣٤٦ ، ٣٤٧ .

أو البناء النحوي للجملة . والبعد الثالث : اختلاف شخصية المتكلم، حيث يرتبط نوعُ التزمين بشخصية المتكلم، فقد يكون بطبيعته نشطًا ومملوءًا حيوية فيكون متسرِّعًا في كل شيء، وبذلك يميل في نطقه إلى الإسراع، وقد يكون المتكلم على عكس هذا (١) .

وسوف تقوم دراستنا للتزمين في الآيات القرآنية على البعدين الأول والثاني فقط، أي القائم على الحالة النفسية، والبناء النحوي للجملة؛ لأنَّ البعد الثالث وهو اختلاف شخصية المتكلم لا يمكن قياسُه أو التعويلُ عليه هنا .

١- قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾(٢)

جملةٌ استفهامية، وهي من أنواع الجمل الإنشائية ، والجملُ الإنشائية عادة تكون أبطأ من الجمل الخبرية ، والعلة في ذلك يمكن أن تكون أنَّ المتكلمَ في الجمل الخبرية يعبر عن الفكرة مجردة، فجاء تزمينه أسرع، بينما هو في الجملة الإنشائية يعبر عن (الفكرة + العاطفة) فجاء تزمينه أبطأ نسبيًّا(٣) . ويمكن أن يعضدَ هذا أيضًا ما هم فيه من حالة نفسية سيئة وحزينة، "بعدما ضاع مُلكُهُم، ونُهِبَت مقدساتُهم، وذُلُّوا لأعدائهم، وذاقوا الويلَ بسبب انحرافهم عن هَدْي ربهم، وتعاليم دينهم"(٤) . والتزمين – كما سبق – يكون أبطأ ما يكون في حالة الحزن والهمّ .

٢- قوله تعالى: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٥)

هذه جملةٌ طلبيةٌ تدل على الحماس، حيث انتفضت نفوسُهم انتفاضة جديدة، واستيقظت في قلوبهم العقيدة، واشتاقوا إلى القتال في سبيل الله، فكان تزمينُهم أبطأ، حيث اتفق هنا وجودُ الجملة

(١) علم الصوتيات : ص٣٤٩ ، وما بعدها .
(٢) سورة البقرة / ٢٤٦ .
(٣) علم الصوتيات : ص٣٥٠ .
(٤) تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب : ٢٦٢/١ – دار الشروق – الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .
(٥) سورة البقرة / ٢٤٦ .

الإنشائية التي يكون تزمينها أبطأ ، مع حالتهم النفسية الحماسية، التي تعبر عن الفكرة كما تعبر عن العاطفة، ومن هنا جاء التزمين أبطأ في هذه الجملة .

٣- قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾(١)

هذه جملة خبرية ، وكما هو معلوم مما سبق أنَّ الجملةَ الخبرية يكون زمنها أسرع من غيرها؛ لأنَّ المتكلمَ بها يعبر عن الفكرة مجردة؛ فجاء تزمينه أسرع، كما أنها من حيث الحالة النفسية تدلُّ على حالةٍ حيادية بعيدةٍ عن الحزن والغضب والفرح، والمتكلم في الحالة الحيادية إنما يعبر عن الفكرة فقط، فيكون سريعًا، بخلاف الحالات الإنفعالية بشكل عام يكون أبطأ (٢) . ومثلها أيضا قوله تعالى : " ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾(٣) .

٤-قوله تعالى : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾(٤) .

جملة إنشائية (استفهامية) تدل على إنكارهم على نبيهم، وغضبهم بسبب اختيار الله عز وجل طالوت ملكًا عليهم، فبعد أن طلبوا من نبيهم أن يكون لهم ملكٌ يقاتلون تحت رايته، ثم هم هؤلاء ينغضون رؤوسهم، ويلوون أعناقهم، ويجادلون في اختيار الله لهم، ويستنكرون أن يكون طالوتُ الذي لم يكن من نسل الملوك، ولم يؤتَ سَعَةً من المال ملكًا عليهم، فتضافرت الجملة الإنشائية مع حالتهم النفسية في أن يكون التزمين أبطأ، وإن كنت أرى أنه زادت سرعته بعضَ الشيء؛ ليدلَّ على غضبهم، وإذا كان الإنسانُ غاضبًا نطق بسرعة أكثر من حالات الحزن والأسى(٥) .

---

(١) سورة البقرة / ٢٤٦ .
(٢) ينظر : علم الصوتيات : ص٣٤٩ .
(٣) سورة البقرة / ٢٤٧ .
(٤) سورة البقرة / ٢٤٧ .
(٥) ينظر : علم الصوتيات : ص٣٤٧ .

٥- قوله تعالى : ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾(١)

توافر لهذه الجملة من العوامل ما جعلها أسرعَ تزمينًا من غيرها، فهي جملةٌ خبريةٌ، تعبر عن الفكرة مجردة، فجاء تزمينُها أسرع، كما أنها تعبر عن حالة نفسية تحمل مشاعرَ الخوفِ والتوجس، كما أنَّ التزمينَ هنا جاء مطابقًا لموقف الكلام وحال المتكلم؛ لأنهم صاروا قلة، وهم يعلمون قوةَ عدوهم وكثرتَه بقيادة جالوت، قال في الظلال : " إنهم مؤمنون لم ينكصوا عن عهدهم مع نبيهم، ولكنهم هنا أمام الواقع الذي يرونه بأعينهم فيحسون أنهم أضعف من مواجهته "(٢) .

(١) سورة البقرة / ٢٤٩ .
(٢) تفسير في ظلال القرآن : ٢٦٩/١ .

المبحث الثالث : التنغيم

نغمةُ الصوت هي إحدى صفاته، وكثيراً ما تكون عاملاً هامًّا في أداء المعنى، وتتوقف النغمة على عدد ذبذبات الأوتار الصوتية في الثانية، وهذا العدد يعتمد على درجة توتر الأوتار الصوتية .

والتنغيم كما يعرفه العلماءُ والباحثون : " مصطلحٌ يدلُّ على ارتفاعِ الصوتِ وانخفاضِه في الكلام"(١)، ويسمّى أيضاً "موسيقى الكلام"(٢) .

ودراسةُ التنغيم تحتاجُ إلى شيءٍ من المجازفة، وذلك "لأنَّ العربيةَ الفصحى لم تعرفْ هذه الدراسةَ في قديمها، ولم يسجل لنا القدماءُ شيئا عن هاتين الناحيتين –يعني النبر والتنغيم– وأغلبُ الظنِّ أنَّ ما ننسبه للعربية الفصحى في هذا المقام إنما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العامية" (٣) .

فنرى هنا أنَّ د . تمام حسان ينفي وجودَ التنغيم في العربية الفصحى، أما الدكتور رمضان عبد التّواب فيكتفي بقوله : "إنّ القدماء أشاروا إلى بعض آثار التنغيم، ولم يعرفوا كُنْهَه، غير أنّنا لا نعدم عند بعضهم الإشارةَ إلى بعض آثاره في الكلام للدّلالة على المعاني المختلفة"(٤) .

ويرى د . أحمد مختار عمر أنَّ "معظمَ أمثلة التنغيم في العربية (ولهجاتها) من النوع غير التمييزي الذي يعكس إما خاصّةً لهجية، أو عادةً نطقية للأفراد . ولذا فإنّ تقعيدَه أمرٌ يكاد يكون مستحيلًا . وكلُّ المحاولات التي قدمت حتى الآن لدراسةِ التنغيمِ في اللغة العربية قامت على اختيار مستوى معين من النطق، وعلى اختبار نغمات الصوت بالنسبة لفردٍ معينٍ داخل هذا المستوى . ولكنَّ التنوعَ بين الأفراد في هذه الناحية يحول بين الباحث وبين تحليل النتائج"(٥) .

---

(١) مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان ص١٦٣وما بعدها– دار الثقافة – الدار البيضاء ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
(٢) علم الأصوات د . كمال بشر : ص٥٣٣– دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٠م .
(٣) مناهج البحث : ص١٦٤ .
(٤) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب : ص ١٠٦– مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
(٥) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر : ص ٣٦٦ – عالم الكتب ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

فنرى أن د. أحمد مختار يقررُ استحالةَ وضع قواعد للتنغيم؛ لأنه يقوم على خواص لهجية ، أو عادة نطقية لبعض الأفراد ، كما أنَّ الأستاذ محمد الأنطاكي يرى أنَّ قواعدَ التنغيم في اللغة العربية كانت مجهولةً تمامًا؛ لأنَّ النحاةَ لم يشيروا إليها في كتبهم بالقدر المطلوب .

وأشهر أنواع النغمات ثلاث ، هي([1]) :

١- النغمة الصاعدة، وتعني وجودَ درجةٍ منخفضةٍ في مقطعٍ أو أكثرَ تليها درجةٌ أكثرُ علوًا منها .

٢- النغمة الهابطة، وتعني وجودَ درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجةٌ أكثرُ انخفاضًا .

٣- النغمة المستوية، وتعني وجودَ عدد من المقاطع تكون درجاتُها متحدة، وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة .

وقد ذكر د. عبد العزيز علام([2]) أنَّ للتنغيم خمسَ صور، وهي :

١- تنغيم صاعد .
٢- تنغيم هابط .
٣- تنغيم صاعد هابط .
٤- تنغيم هابط صاعد .
٥- تنغيم مستوٍ

ووصفُ النغمةِ بأنها صاعدةٌ أو هابطةٌ راجعٌ إلى عددِ ذبذباتِ الصوتِ، فدرجةُ النغمةِ تعلو كلما زاد عددُ ذبذباتِ الصوتِ، وتنخفضُ كلما قلَّ عددُ الذبذبات([3]) .

---

(١) المدخل إلى علم أصوات العربية د . غانم قدوري الحمد : ص٢٤٣ وما بعدها – دار عمار للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

(٢) ينظر : علم الصوتيات : ص٣٢٠ ، ومبادئ اللسانيات لأحمد محمد قدور : ص١٦٧ – دار الفكر دمشق سوريا – الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

(٣) ينظر : مبادئ اللسانيات ص١٦٧ .

وظائف التنغيم

كما سبقت الإشارة فالتنغيمُ يُستعمَلُ لوظائفَ تواصليةٍ، ولذلك فتنغيمُ الجملةِ الواحدة بطرقٍ مختلفةٍ ودون أي تغيير في مكوناتها يميّز الجملة أو الصيغة الإخبارية من الاستفهامية من التعجبية من الطلبية، ففي اللغة العربية يمثل بالجملة التالية :

* **لعبت في المباراة**

إذ يختلف الغرضُ منها باختلاف المقامات التواصلية :

أ: خبرية.

ب: تعجبية، انفعالية (إذا أخبر رفيق رفيقه بأنه لعب في المباراة، فتعجب من ذلك).

ج: استفهامية (المتكلم يسأل هل وقع الفعل أم لا)

د: تهكمية (المتكلم لا يلعب ويسخر من نفسه)

انطلاقًا من هذا يتضح أنَّ التنغيمَ يؤدي وظيفةً نحويةً في السياق التركيبي للجملة، ويبدو ذلك واضحًا في التراكيب الاستفهامية ونظائرها الشرطية وفي الإغراء والتحذير وكذا النفي .

كما أنَّ التنغيم يُغني عن كلامٍ طويلٍ في السياق، ولا نستطيعُ الحكمَ على معنى الجملة إذا كانت جملة خبرية تقريرية، أو استفهامية، أو تعجبية، أو تدل على الموافقة إلا بالتنغيم(١) .

* **دلالة التنغيم في الآيات الكريمة**

يمكن معرفة دلالة التنغيم في الآيات الكريمة التي تتحدث عن قصة طالوت وجالوت، وتصنيفها وفقا لدرجة النغمة المصاحبة للجملة فيما يلي :

أولا : النغمة الهابطة (↘)

(١) مبادئ اللسانيات : ص١٢٠ .

وتستعمل في تأكيد الإثبات، – كقولك في جواب من أنكر أنه هو الذي قام بفعل معين : أنت فعلت هذا، أي لا غيرك – وتأكيد الاستفهام بكيف وأين ومتى وبقية أدوات الاستفهام عدا الهمزة وهل(١) . ومن أمثلتها في الآيات الكريمة ما يلي :

أ – تأكيد الإثبات

١- قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾(٢)

فهذه الجملة إثباتية، تقرر حقيقة واقعة، بيّنت أنه لَمَّا فُرِضَ عَلَيْهِمْ قِتَالُ عَدُوِّهِمْ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَدْبَرُوا مُوَلِّينَ عَنِ الْقِتَالِ، وَضَيَّعُوا مَا سَأَلُوهُ نَبِيَّهُمْ مِنْ فَرْضِ الْجِهَادِ(٣) فكانت النغمة الهابطة مناسبة للحال والمقام، حيث وصفت هذه الآية حالهم بعد فرض القتال عليهم من الإعراض وعدم الخضوع لأمر الله وأمر نبيهم ، يقول أبو حيان : " هَذَا شَأْنُ الْمُتْرَفِ الْمُنَعَّمِ، مَتَى كَانَ مُتَلَبِّسًا بِالنِّعْمَةِ قَوِيَ عَزْمُهُ وَأَنِفَ، فَإِذَا ابْتُلِيَ بشيء من الخطوب ركع وَذُلَّ." (٤) .

٢- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٥)

الجملة هنا إثباتية تقريرية ، تؤكد سعة علم الله – سبحانه وتعالى – وأنه يرى ويسمع ما يخفيه الظالمون في أنفسهم، ومن هنا جاءت النغمة الهابطة المناسبة لحال هؤلاء اليهود؛ حيث كانت هذه الجملة تعقيبا يوحي بالاستنكار، ويصف هذه الكثرة الذين تولوا عن فريضة الجهاد – بعد طلبهم لها – ، وقد وصفهم الله بالظلم؛ لأنهم ظلموا أنفسهم، وظلموا نبيهم، ولذلك يقول صاحب الظلال : " إن الذي

---

(١) ينظر : مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان : ص١٦٩ .

(٢) سورة البقرة/٢٤٦ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) : ٤٤٦/٤ وما بعدها – تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة – دار هجر للطباعة والنشر– الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

(٤) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ) : ٥٧٢/٢ – تح/ صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ .

(٥) سورة البقرة/٢٤٦ .

يعرف أنه على الحق، وأن عدوه على الباطل – كما عرف الملأ من بني إسرائيل وهم يطلبون أن يبعث لهم نبيهم ملكا ليقاتلوا في سبيل الله .. ثم يتولى بعد ذلك عن الجهاد، ولا ينهض بتبعة الحق الذي عرفه في وجه الباطل الذي عرفه .. إنما هو من الظالمين المجزيين بظلمهم "(١) .

٣- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا ﴾(٢)

هذه الجملة بدئت بـ (إنّ) المؤكدة، لتؤكد لهؤلاء اليهود أنَّ الله أرسل لهم طالوت ملكًا عليهم، ليناسبَ حالهم ونفسيتهم الشاكة في أن يكون الله عز وجل أرسل إليهم طالوت الذي لا يملك المال والنفوذ، وليس من نسل الملوك ليكون ملكًا عليهم، فمن المعلوم "أنه يؤتى بالألفاظ المؤكدة بحسب الحاجة إليها، فقد يكون الكلامُ لا يحتاج إلى توكيد، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه المقام . وقد راعى القرآن الكريم ذلك أدق المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد"(٣) .

ومن هنا فالجملةً إثباتيةٌ تقريريةٌ صاحبتها نغمةٌ هابطةٌ مناسبةٌ لسياق المقام، فالمقامُ يحتاجُ إلى أن يبين لهم نبيُّهم بأسلوبٍ هادئٍ أنَّ طالوتَ هو الملك الذي اختاره الله عز وجل لهم، أملًا منه في أن ينال هذا الأمرُ رضاهم .

٤- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾(٤) .

لا زال نبيُّهم – عليه السلام – يبين لهم بأسلوبٍ هادئٍ سببَ اختيار الله – عز وجل – طالوت ملكًا عليهم، وأرجع الأسبابَ إلى عدة أمور، الأمرُ الأولُ أنه اختيارُ الله عز وجل، والأمرُ الثاني أن الله زاده بسطة في العلم والجسم ، يقول ابن عباس : " كان طالوتُ يومئذ أعلمَ رجلٍ في بنى إسرائيل

(١) في ظلال القرآن : ٢٦٧/٢ .
(٢) سورة البقرة/٢٤٦ .
(٣) التعبير القرآني د. فاضل صالح السامرائي : ص١٢٥ – دار عمار – عمان الأردن – الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .
(٤) سورة البقرة/٢٤٧ .

وأجمله وأتمه"(١)، والأمر الثالث أن هذا الكونَ ملكُ الله، وهو صاحب التصرف فيه، ويختار من عباده من يشاء، والأمر الرابع أن الله واسعٌ عليمٌ ليس لعطائه حد، وهو الذي يعلم الخير، ويعلم كيف توضع الأمور في مواضعها . ولتقرير كل هذه الحقائق فإن الأمر يحتاج إلى أسلوب هادئ حكيم، وقد صاحبته النغمة الهابطة التي تصلح في مثل هذه الحال .

٥- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ .....إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ....إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢)

هنا آيتان مؤكدتان، الآية الأولى يبرهن بها نبيُّهم عليه السلام على أنَّ الله عز وجل قد اختار لهم طالوت ملكًا عليهم – بعد أن سألوه دليلًا على ذلك فأخْبرهُم نَبِيّهم بِآيَة ملكه، وَذَلِكَ إتْيَان التابوت . " قيل: هُوَ التابوت الَّذِي كَانَ مَعَ مُوسَى وَهَارُون، كَانَت بَنو إِسْرَائِيل يخرجُون بِهِ إِلَى الْغَزَوَات ويستنصرون بِهِ." (٣) .

والآية الأخرى تأكيدٌ على أنَّ في إتيان التابوت دليلًا على صدق اختيار الله تعالى لطالوت ملكًا، إن كنتم حقًّا مؤمنين . والسياق في الجملتين يقتضي الأسلوب الحواري الهادئ القائم على الإقناع، والمشتمل على النغمة الهابطة الهادئة، حتى يستجيب له محاوروه ويقتنعوا بصحة كلامه . وغير ذلك من الجمل التقريرية الإثباتية التي تحمل النغمة الهابطة .

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) : ٣٢٢/٤- عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ .

(٢) سورة البقرة/٢٤٨ .

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩هـ) : ٢٥٠/١ – تح/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم – دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

ب- تأكيد الاستفهام بأداة غير الهمزة وهل

١- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾(١)

اشتملت الآية على صيغة الاستفهام (وما لنا .... ؟) وجاء الاستفهام بطريقة التلطف والرفق، حيث قالوا لنبيهم بلطف : وأي شيء يمنعنا أن نقاتل في سبيل الله عدونا وعدو الله ، وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بالقهر والغلبة؟(٢) ، وهم الذين طلبوا هذا الأمر من نبيهم عليه السلام . وأتت النغمة هابطة مناسبة للحال التي فيها هؤلاء القوم من بني إسرائيل ، فسؤالهم هنا يحمل معنى الإنكار ، "وَأَتْبَعُوا ذَلِكَ بِعِلَّةٍ قَوِيَّةٍ تُوجِبُ التَّشَدُّدَ فِي ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: وَقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَأَبْنائِنا لِأَنَّ مَنْ بَلَغَ مِنْهُ الْعَدُوُّ هَذَا الْمَبْلَغَ فَالظَّاهِرُ مِنْ أَمْرِهِ الِاجْتِهَادُ فِي قَمْعِ عَدُوِّهِ وَمُقَاتَلَتِهِ." (٣) .

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ﴾(٤)

اشتملت هذه الآية على اسم الاستفهام (أنى) ومعناه (كيف)، أي : من أين يكون له الملك وكيف يستحقه وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ، وإنما قالوا ذلك؛ "لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحدهما. وإنما كان من سبط بنيامين بن يعقوب فلهذا السبب أنكروا كونه ملكا لهم وزعموا أنهم أحق بالملك منه"(٥)

---

(١) سورة البقرة/٢٤٦ .

(٢) ينظر : تفسير الطبري : ٤٤٣/٤ .

(٣) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) : ٥٠٣/٦ – دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة – ١٤٢٠هـ .

(٤) سورة البقرة/٢٤٧ .

(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) : ١٨٠/١ – تصحيح: محمد علي شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .

فالاستفهام يشتمل على التعجب الذي يُحدِثُ تاثيرًا في النفس، وقد صاحبته النغمة الهابطة والأسلوب الهادئ الذي اتبعوه دائمًا مع أنبيائهم في تكذيبهم ومماأتهم، وعدم الاستجابة لأمر الله عز وجل، وهم الذين سألوا نبيَّهم أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون تحت لوائه، فلما عين لهم طالوت إذا هم يلوون أعناقهم وينغضون رؤوسهم، ويجادلون في اختيار الله لهم .

ثانيا : النغمة الصاعدة (↖)

وتستعمل هذه النغمة في تأكيد الاستفهام بهل والهمزة، بمعنى إذا كان الاستفهام بأداة الاستفهام (هل) أو الهمزة تكون النغمة صاعدة . ومن الأمثلة عليها ما يلي :

١ـ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾(١)

الهمزة في قوله (ألم) للاستفهام التعجبي التقريري، فيه تعجيب وتشويق للسامع كأنه أمرٌ واقعٌ مشاهد، والرؤية – هنا – علمية كسابقتها، ضمنت معنى الانتهاء . فعديت بحرف الجر {إِلَى}.

والاستفهام للتعجيب والتشويق لهذه القصة، فكانت النغمة المصاحبة لهذا الاستفهام صاعدة للحث على النظر والاعتبار . أي ألم يأتك خبرُ وجوهِ القوم وأشرافهم من بعد موسى عليه السلام مثلًا في عصر «يوشع» أو «حزقيل أو شمويل» أو أي واحد منهم، ولا يعنينا ذلك لأنَّ القرآنَ لا يذكر في أي عهد كانوا، المهم أنهم كانوا بعد موسى عليه السلام .

٢- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ﴾(٢)

أوضح لهم نبيُّهم الحقَّ أنْ فكِّروا جيدًا في أنكم طلبتم القتال، وإياكم ألا تقاتلوا عندما نكتب عليكم هذا القتال؛ لأنني لم أفرضه ابتداءً، ولكنكم أنتم الذين طلبتم ذلك، فالاستفهام هنا تحذيريٌّ

(١) سورة البقرة/٢٤٦ .
(٢) سورة البقرة/٢٤٦ .

توضيحيٌّ يشتمل على النغمة الصاعدة المحذرة ؛ فأراد نبيُّهم أن يستتب مَا طَلَبُوهُ مِنَ الْجِهَادِ، وَأَنْ يَتَعَرَّفَ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ بَوَاطِنُهُمْ، فَاسْتَفْهَمَ عَنْ مُقَارَبَتِهِمْ تَرْكَ الْقِتَالِ إِنْ كُتِبَ عَلَيْهِمْ، فَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ دَاعٍ إِلَى تَرْكِ الْقِتَالِ، فَقَالُوا: وَما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَأَبْنائِنا(١) .

(١) البحر المحيط : ٢/٥٧٠ .

المبحث الرابع : الإيقاع

يُعدُّ الإيقاعُ صورةً للتناسق الفني في القرآن الكريم، وآيةً من آيات الإعجاز المتجلي في أسلوبه المتميز، فالقرآن يحوي إيقاعًا موسيقيًّا يؤدي وظائفَ جماليةً رفيعة، كما أنَّ له نظامًا صوتيًّا وجمالًا لغويًّا، ينتظم بتساوق حركاته وسكناته ومداته وغناته انتظامًا رائعًا .

والجمالُ الصوتيُّ هو أول ما التقطته الأسماع العربية، ويظهر هذا الجمال في انتظام الحروف، وترتيب الكلمات ، وعرض المشاهد المتنوعة، والتجارب المختلفة كما لو أنها حية نراها رأي العين .

فالإيقاع هو : " إحساسٌ بالتكرر المنتظم لمجموعاتٍ، كلٌّ منها يشتملُ على أحداث متشابهة ومتعاقبة "(١) .

وعرفه د. محمد غنيمي هلال بقوله : الإيقاعُ يقصد به وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في بيت، أي توالي الحركات والسكنات على منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام . أو في الأبيات القصيدة وقد يتوافر الإيقاع في النثر، مثلا فيما سماه قدامه (الترصيع) حتى عاد تعريضك تصحيحًا، وقد بلغ الإيقاع في النثر درجة يقرب بها كل القرب من الشعر، أما الإيقاعُ في الشعر فتمثله التفعيلة في البحر العربي، فمثلا (فاعلاتن) في بحر الرمل تمثل وحدة النغمة في البيت...لأنَّ المقصود من التفعيلة مقابلة الحركات والسكنات فيها بنظيرتها في الكلمات في البيت من غير تفرقة بين الحرف الساكن اللين وحرف المد، والحرف الساكن الجامد(٢) .

ويعتمد الإيقاع في مستواه الخارجي على الجانب الصوتي المتولد من "تناسق الحروف" مخرجا، وصفة، وحركة، ومن أوزان الكلمات، والفواصل القرآنية، وضروب البديع، والتوازن بين الجمل والعبارات...أما الإيقاع الداخلي فهو حركة موقعة أو منتظمة في بناء السورة كلها، تحكم نسيجها، وتميز معالمها، وصفاتها عن بقية السور الأخرى.

---

(١) علم الصوتيات : ص٣٥٥ .

(٢) النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال: ص ٤٣٥، ٤٣٦ – نهضة مصر ،القاهرة، ٢٠٠١ .

وقد ساعدت اللغة العربية على ذلك، وهذا من أسرار اختيارها لتكون لغة للقرآن الكريم، فهي بطبيعتها لغة فنية، تنسجم مع تصوير الحالات النفسية والذهنية، والمواقف الإنسانية، والمقاييس الجمالية، فهي بحروفها وألفاظها، وتراكيبها كنز مذخور للتعبير الفني، والإيقاع الجمالي، لأنها كما يقول العقاد : "فن منظوم، منسق الأوزان والأصوات"(١).

وقد استوفت حروفها المعروفة المخارج الصوتية كلها "فليس هناك مخرجٌ صوتيٌّ واحدٌ ناقصٌ في الحروف العربية"(٢).

فهي أوفرُ عددًا من أصوات المخارج من غيرها من لغات العالم، لأنها "لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها"(٣).

فاللغة العربية لهذه الاعتبارات وغيرها كما يقول العقاد " لغةٌ إنسانيةٌ ناطقةٌ، يُستخدم فيها جهازُ النطق الحي أحسنَ استخدام، يهدي إليه الافتتان في الإيقاع الموسيقي، وليس هنا أداة صوتية ناقصة، تحس بها الأبجدية العربية"(٤) .

ويفرق د . عبد الله ربيع محمود بين الإيقاع وعناصر الأداء الأخرى بأنَّ كلَّ عنصرٍ من عناصر الأداء له نظامُه الخاصُّ وفقَ طبيعة اللغة وفروق أبنائها، فللنبرِ نظامُه، وللتزمين نظامُه الخاصُّ به، وكذلك لبقية العناصر . ولا يُشترط في الأداء التكرارُ المنتظمُ لعنصرٍ من عناصره . أما الإيقاعُ فلابدَّ فيه من التكرر المنتظم والدقيق لعنصر من عناصره أو لأكثر (٥) .

ويضيف إلى ذلك فرقًا آخر بقوله : " إنَّ الأداء يتصل بجانب المعنى والفكرة من حيث توضيحها أو تأكيدها .... الخ . أما الإيقاعُ فإنه يتصل أكثر بجانب الإحساس والعاطفة . فهناك الإيقاع

(١) اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد – المطبعة العصرية، بيروت، ص ٨.
(٢) المصدر السابق.ص ٩-١٠.
(٣) المصدر السابق، ص ٩.
(٤) المصدر السابق، ص ١٠.
(٥) علم الصوتيات : ص٣٥٥ .

الذي يصنع أو يثير الحزن، والإيقاع الذي يعبر عن السرور أو يثير الفرح، والإيقاع الذي يبعث الحماسة أو الحيوية أو الشهامة ... إلخ "(١) .

هذا ، والإيقاع في أسلوب القرآن يبدأ من إقامة الروابط والعلاقات بين مخارج الحروف وصفاتها لإكسابها خاصية السهولة والعذوبة، كما أنَّ حركات الحروف لها قيمة فنية في إحكام الروابط الإيقاعية بين الحروف لتوظيفها في أداء المعنى، فحركات الحروف إضافة إلى صفاتها ومخارجها كلها علاقات أو روابط ملحوظة في بناء الكلمة القرآنية، وفي بناء الإيقاع المؤثر لها .

- **الإيقاع في الآيات القرآنية وأثره في الدلالة**

يعتمد الإيقاع القرآني في مستواه الخارجي على الجانب الصوتي المتولد من تناسق الحروف، من حيث مخارجها، وصفاتها، وحركاتها، ومن أوزان الكلمات، والفواصل القرآنية، وضروب البديع، والتوازن بين الجمل والعبارات . وسوف تقتصر دراستنا للإيقاع في هذه الآيات على جانبين ، أولهما جانب تناسق الحروف من حيث المخارج والصفات وتناسق الكلمات، والآخر جانب الفاصلة القرآنية .

أولا : الإيقاع عن طريق تناسق الحروف والكلمات

فتناسق الحروف داخل الكلمة ، وتناسق الكلمات داخل الجملة يُحدث إيقاعًا موسيقيًّا رائعًا ، وقد نصَّ على ذلك سيد قطب بقوله : " على أنَّ هناك نوعًا من الموسيقى الداخلية يلحظ ولا يشرح ... وهو كامن في نسيج اللفظة المفردة، وتركيب الجملة الواحدة . وهو يُدرَك بحاسة خفية، وهبة لدنية "(٢)

ولا يظهر تناسق الحروف إلا في حال تأليفها؛ لأن التأليف هو المسرح الذي تلتقي فيه الحروف على اختلاف مخارجها وصفاتها، وقد أشار ابن دريد إلى أنَّ الحروف كلما تباعدت مخارجها كان ذلك علة في تناسقها ، فيقول : " وَاعْلَم أَن الْحُرُوف إِذا تقاربت مخارجها كَانَت أثقل على اللِّسَان مِنْهَا إِذا

(١) المصدر السابق .
(٢) التصوير الفني في القرآن : ص١٠٦ .

تَبَاعَدت، لِأَنَّك إِذا اسْتعْملت اللِّسَان فِي حُرُوف الْحلق دون حُرُوف الْفَم وَدون حُرُوف الذلاقة كلفته جرسا وَاحِدًا وحركات مُخْتَلفَة؛ أَلا ترى أَنَّك لَو ألفت بَين الْهمزَة وَالْهَاء والحاء فَأمكن لوجدت الْهمزَة تتحول هَاء فِي بعض اللُّغَات لقربها مِنْهَا نَحْو قَوْلهم فِي (أم وَالله) : (هم وَالله)، وكما قَالُوا فِي (أراق) : (هراق المَاء)؛ ولوجدت الْحَاء فِي بعض الْأَلْسِنَة تتحول هَاء، وَقد ذكرت هَذَا آنِفا، وَإِذا تَبَاعَدت مخارج الْحُرُوف حسن وَجه التَّأْلِيف"(١) .

ومما يتضح فيه الإيقاع عن طريق تناسق الحروف والكلمات ما يغني عن ذكره المقام ، فكلمات القرآن الكريم كلها متناسقة ، ونجد ذلك واضحًا في التلاؤم والاتِّساق الكاملين بين كلماتها، وبين حركاتها وسكناتها؛ فالجملة في القرآن تجدها دائمًا مؤلَّفة من كلمات وحروف وأصوات يستريح لتألُّفها السمع والصوت والمنطق، ويتكوَّن من تضامّها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع، ما كان لِيَتِمَّ لو نقصت من الجملة كلمةٌ أو حرف، أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال(٢) .

ويمكن ملاحظة ذلك من خلال استعراض بعض الألفاظ الواردة في هذه الآيات الكريمة؛ لبيان الإيقاع عن طريق تناسق الأصوات والكلمات ، ومن ذلك ما يلي :

٣- في قوله تعالى : " ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾(٣) .

يظهر الانسجام والاتساق بين الأصوات في الكلمة من خلال استعراض التغيرات الصوتية التي حدثت في كلمة (اصطفاه) ، فكما هو معلوم أن أصل الفعل (اصطفى) هو (اصتفى) بالتاء، فاجتمع في هذه الكلمة صوتان متنافران، أحدهما مستعل مطبق مفخم ، وهو (الصاد)، والآخر مستفل منفتح مرقق ، وهو (التاء) فكرهوا اجتماعهما ، فأبدلت التاء صوتًا آخر يوافق التاءَ في المخرج، ويوافق الصادَ في

(١) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) : ٤٦/١ – المحقق: رمزي منير بعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الأولى١٩٨٧م .
(٢) الإعجاز في نظم القرآن د . راغب السرجاني – بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) – ملتقى أهل التفسير .
(٣) سورة البقرة/ ٢٤٧ .

الإطباق والاستعلاء والتفخيم ، وهو الطاء ليحدث الانسجام الصوتي بين الصاد والطاء ، وقد قرر هذا علماء اللغة حيث قالوا : " وتبدل الطَّاء من تَاء الافتعال تلو حرف مطبق نَحْو اصْطفى واضطر"(١) .

٢- في قوله تعالى : ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾(٢)

استخدم القرآن الكريم هذه الكلمة (ابعث) أي : أَنْهِضْ لَنَا مَنْ نَصْدُرُ عنه في تدبير بالحرب، وَنَنْتَهِي إِلَى أَمْرِهِ(٣)، لما لها من دلالة توحي بالإثارة، يقول ابن فارس : " الْبَاءُ وَالْعَيْنُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِثَارَةُ. وَيُقَالُ: بَعَثْتُ النَّاقَةَ: إِذَا أَثَرْتَهَا"(٤)، فآثر القرآن التعبير بهذه الكلمة ، ولم يعبر بكلمة أخرى مثل (أرسل)، أو (عيّن) أو غير ذلك من الكلمات المتقاربة المعاني؛ لأنها أنسب في هذا المقام .

٢- في قوله تعالى : ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٥) .

وردت عبارة (في سبيل الله) للدلالة على الغاية من القتال، وهو أن قتالهم ليس حمية ولا ثأرًا، وإنما غايتهم الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله ، حتى يحدث الاتساق والانسجام بين الكلمات في الآية الكريمة ، يقول سيد قطب : " وهذا التحديد منهم لطبيعة القتال ، وأنه (في سبيل الله) يشي بانتفاضة العقيدة في قلوبهم ، ويقظة الإيمان في نفوسهم ، وشعورهم بأنهم أهل دين وعقيدة وحق ، وأن أعداءهم على ضلالة وكفر وباطل ، ووضوح الطريق أمامهم للجهاد في سبيل الله "(٦) .

ثانيا : الإيقاع عن طريق الفاصلة القرآنية

---

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) : ٤٧٧/٣ – تح/ عبد الحميد هنداوي – المكتبة التوفيقية – مصر .
(٢) سورة البقرة/ ٢٤٦ .
(٣) ينظر : تفسير البحر المحيط : ٥٧٠/٢ .
(٤) المقاييس : (ب ع ث) .
(٥) سورة البقرة/ ٢٤٦ .
(٦) في ظلال القرآن : ص١/ ٢٦٦ .

الفاصلة في القرآن هي ما تنتهي به الآية القرآنية . وهي جزء من الآية، وعنصر تعبيري متميز، ومثير قوي للإيقاع. وهي – كملمح أساسي من ملامح الإيقاع الموسيقى، والنظم الصوتي في القرآن – تنضوي على دلالتين هامتين. الدلالة الأولى : وهي دلالة صوتية تتمثل في الإيقاع والرنين الصوتي، المحكوم بنسق الآية والسياق العام . والدلالة الثانية: دلالة معنوية تحمل تمام الفكرة في الآية .

ويبين أحد الباحثين أهمية الفاصلة في الإيقاع فيقول : "والفاصلة القرآنية عنصر أساسي من عناصر اللغة الإيقاعية، والقرآن الكريم يمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملة تمام المعنى وتمام التوافق الصوتي في آن واحد"(١) .

أما الدلالة الصوتية لفواصل الآيات القرآنية محل الدراسة المتمثلة في الإيقاع والرنين الصوتي، فتظهر في ختام هذه الآيات كلها بالمقطع الصوتي الطويل المغلق (ص ح ح ص) ، كما تظهر في ختامها جميعا بالياء والنون (ين) ما عدا آية واحدة ختمت بالياء والميم (عليم) ، ونحن نعلم ما بين النون والميم من تقارب ، مما يوضح مدى التناسق والانسجام بين فواصل الآيات الكريمة .

فكأن هذه الفواصل التي ختمت بها هذه الآيات جعلت من هذه القصة لوحة منفردة عما قبلها وما بعدها ، فإذا لاحظنا أن الآية التي سبقت هذه الآيات ختمت بالواو والنون (ترجعون) (٢)، والآية التي تلت هذه الآيات ختمت بالياء والدال (يريد) (٣) ندرك أن هذه الآيات ذات إيقاع موسيقى ممتد ومستمر ملحوظ في حرف المد في استمراره وطوله ثم استقراره وتمكينه في حرف النون.

---

(١) مكانة الفواصل من الإعجاز في القرآن الكريم للأستاذ محمد رجاء عبد المتجلي : ص٨ – بحث منشور على شبكة الإنترنت
https://archive.org/stream/azm١٠١٠١٠_gmail_٧٥_٢٠١٥٠٢/٧٥#page/n٠/mode/٢up

(٢) سورة البقرة /٢٤٥ .

(٣) سورة البقرة /٢٥٣ .

وأما الدلالة المعنوية للفاصلة فتظهر أهميتها في تأكيد معنى الآية التي هي جزء منها مما روي أن قارئًا قرأ (فاعلموا أن الله غفور رحيم) في قوله تعالى : ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)، فسمعه أعرابي فأنكره ولم يقرأ القرآن، وقال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا؛ لأن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل؛ لأنه إغراء عليه(٢) .

معنى ذلك أن الفاصلة تلتحم بالآية التحامًا تامًا؛ فتذكر بأن الله عزيز لديه القوة والقدرة وأن القوة ستطولهم وتنال منهم إن خالفوا التوجيه، وتوضح أنه حكيم فتوحي بأن ما اختاره الله للبشر هو الخير وأنهم خاسرون إن لم يتبعوا طريق الخير.. كما أن الفاصلة تؤكد معنى التهديد والتحذير.. (٣) .

ويظهر هذا جليًّا من خلال فواصل الآيات القرآنية – محل الدراسة – ومن ذلك ما يلي :

* الآية الأولى ختمت بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٤)، وهي مناسبة تماما لمعنى الآية ، ومرتبطة بها ؛ لأن الفاصلة تشي بالإنكار، حيث وصفت هؤلاء القوم بالظلم ؛ لأنهم تولوا عن القتال بعد أن طلبوه من نبيهم ، فهم ظالمون لأنفسهم ، ظالمون لنبيهم ، ظالمون لدينهم ، ويوضح هذا صاحب الظلال بقوله : " إن الذي يعرف أنه الحق ، وأن عدوه على الباطل – كما عرف الملأ من بني إسرائيل وهم يطلبون أن يبعث لهم نبيهم ملكا ليقاتلوا في سبيل الله .. ثم يتولى بعد ذلك عن الجهاد ،

(١) سورة البقرة/ ٢٠٩ .
(٢) ينظر : حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي : ٥٠٤/٢ – ضبطه وصححه وخرج أحاديثه محمد عبد القادر شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان .
(٣) ينظر : الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم ، محمد قطب عبد العال – بحث منشور على شبكة الإنترنت : http://www.darululoom-deoband.com/arabic/magazine/tmp/١٣٢٦٨٨٣٥٦fix٣sub٢file.htm
(٤) سورة البقرة/ ٢٤٦ .

ولا ينهض بتبعة الحق الذي عرفه في وجه الباطل الذي عرفه .. إنما هو من الظالمين المجزيين بظلمهم .. والله عليم بالظالمين " (١) .

* الآية الثانية ختمت بقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢)، ردا على دعواهم فقر طالوت وأنه لم يؤت سعة من المال ، وتصحيحا لتصورهم المشوش ونظرتهم المادية القاصرة، حيث تصوروا أن المال هو كل شيء في هذه الحياة الدنيا ، وأنه الميزان الذي يوزن به الرجال، فرد الله عليهم دعواهم بأنه هو (الواسع) يعني أن الله تعالى واسع الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه، والمعنى " أنكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فإذا فوض إليه الملك فتح عليه أبواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى "(٣)، وبأنه هو (العليم) الذي يعلم الخير ، ويعلم كيف توضع الأمور في مواضعها ، ويعني " أنه تعالى مع قدرته على إغناء الفقير عالم بما يحتاج إليه في تدبير نفسه وملكه "(٤) .

* الآية الثالثة جاءت فاصلتها في قوله تعالى : " ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٥) مناسبة تمام المناسبة لمعنى الآية ، فكأن بني إسرائيل لما اعترضوا على كلام نبيهم بأن الله قد بعث إليهم طالوت ملكا سألوا نبيهم آية تدل على صدقه فيما أخبرهم به من أمر طالوت وملكه ، فجاءت هذه الفاصلة على أسلوب الشرط ، أي إن كنتم مصدقيّ عند مجيء الآية التي سألتمونيها ، وليس معناه إن كنتم مؤمنين بالله ؛ " لأن القوم قد كانوا كفروا بالله في تكذيبهم نبيهم وردهم عليه قوله:"إن الله قد بعث لكم طالوت

---

(١) في ظلال القرآن : ٢٦٧/١ .
(٢) سورة البقرة/ ٢٤٧ .
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) : ١٨٠/١ – تصحيح: محمد علي شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .
(٤) السابق .
(٥) سورة البقرة/ ٢٤٨ .

ملكا"، بقولهم:"أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه"، = وفي مسألتهم إياه الآية على صدقه. فإذ كان ذلك منهم كفرا، فغير جائز أن يقال لهم وهم كفار: لكم في مجيء التابوت آية إن كنتم من أهل الإيمان بالله ورسوله، وليسوا من أهل الإيمان بالله ولا برسوله "(١) .

* الآية الرابعة جاءت فاصلتها في قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢) منسجمة مع معنى الآية ، فالفاصلة ليست لمجرد الحلية اللفظية دون اعتبار للمعنى ، ولكنها تآلفت مع ما يدل عليه الكلام ؛ لأن الجهاد يحتاج إلى صبر ، والعطش يحتاج إلى صبر ، وطاعة أمر الله ورسوله تحتاج إلى صبر ، فجاءت هذه الجملة لتبين وتوضح أن " الله معين الصابرين على الجهاد في سبيله وغير ذلك من طاعته، وظهورهم ونصرهم على أعدائه الصادين عن سبيله، المخالفين منهاج دينه." (٣) .

* الآية الخامسة ختمت بقوله تعالى : ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٤)، لتدل على أن القتال لم يكن عصبية أو من أجل دنيا، وإنما من أجل العقيدة ، فهناك فريقان : فريق المؤمنين وفريق الكافرين ، " فقد وضح الموقف .. إيمان تجاه كفر ، وحق إزاء باطل ، ودعوة إلى الله لينصر أولياءه المؤمنين على أعدائه الكافرين "(٥) .

* الآية السادسة جاءت فاصلتها في قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٦)؛ لبيان فضل الله عز وجل ، ليس على عباده المؤمنين فقط ، وإنما على العالمين أجمعين مؤمنهم وكافرهم ، إنسهم وجنهم ، فما حدث من انتصار المؤمنين وهزيمة الكافرين، وقتل جالوت

(١) تفسير الطبري : ٣٣٨/٥ .
(٢) سورة البقرة/ ٢٤٩ .
(٣) تفسير الطبري : ٣٥٣/٥ .
(٤) سورة البقرة/ ٢٥٠ .
(٥) في ظلال القرآن : ٢٦٩/١ .
(٦) سورة البقرة/ ٢٥١ .

الطاغية على يد داوود عليه السلام، ثم إتيان الله عز وجل داود الملك والحكمة والعلم إنما كان من فضل الله تبارك وتعالى .

* الآية السابعة والأخيرة من آيات هذه القصة ختمت بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1] ، فكانت بمثابة السبب لمعنى الجملة التي سبقتها ، أي لأنك من المرسلين فإننا نتلوا عليك هذه الآيات ، ونزودك بتجارب البشرية كلها في جميع أعصارها ، ونورثك ميراث المرسلين أجمعين[2] .

(١) سورة البقرة/ ٢٥٢ .
(٢) ينظر : في ظلال القرآن : ٢٧١/١

الخاتمة

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم أن نلقى الله .

وبعد ....

فقد وصلنا بعون الله وتوفيقه إلى نهاية هذا البحث المتواضع، الذي طوفنا فيه في بعض الملامح الأدائية المصاحبة للنص القرآني، وبيان أثرها من ناحية الدلالة، من خلال الآيات القرآنية التي قصت علينا قصة طالوت وجالوت وما كان من أمر نبي الله داود عليه السلام ، وقد توصلنا من خلاله إلى عدة نتائج، أهمها ما يلي :

١- أن الملامح الأدائية من أهم الموضوعات التي لها علاقة وثيقة بالأداء الصوتي المصاحب للكلام؛ لكونها تتعلق بحالة الصوت اللغوي عند النطق بالجملة .

٢- أن النبر له أثره الدلالي الكبير، إذا حُذِف حرفٌ في النطق وخُشِيَ من اللبس.

٣- أن للسياق الخاص بالنص والنبر دور كبير في إفهامنا معنى لم يكن موجودا لولاهما .

٤- أن الجمل الإنشائية عادة تكون أبطأ من الجمل الخبرية ، من حيث السرعة التي يتخذها المتكلم ويحسها السامع نحو الكلام المنطوق ، ظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾(١) .

٥- أن الجملة الخبرية يكون زمنها أسرع من غيرها؛ لأن المتكلم بها يعبر عن الفكرة مجردة؛ فجاء تزمينه أسرع ، مثل قوله تعالى:﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾(٢)

(١) سورة البقرة / ٢٤٦ .
(٢) سورة البقرة / ٢٤٦ .

٦- أن الجمل الإثباتية من حيث التنغيم فإن النغمة الهابطة هي المناسبة للحال والمقام ؛ لأنها تقرر حقيقة واقعة ، مثل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾ (١)، فالمقام يحتاج إلى أن يبين لهم نبيهم بأسلوب هادئ أن طالوت هو الملك الذي اختاره الله عز وجل لهم، أملا منه في أن ينال هذا الأمر رضاهم .

٧- أن الإيقاع القرآني يعتمد في مستواه الخارجي على الجانب الصوتي المتولد من تناسق الحروف، من حيث مخارجها، وصفاتها، وحركاتها، ومن أوزان الكلمات، والفواصل القرآنية .

٨- أن الدلالة الصوتية لفواصل الآيات القرآنية محل الدراسة المتمثلة في الإيقاع والرنين الصوتي، تظهر في ختام هذه الآيات كلها بالمقطع الصوتي الطويل المغلق (ص ح ح ص) ، كما تظهر في ختامها جميعا بالياء والنون (ين) ما عدا آية واحدة ختمت بالياء والميم (عليم) ، ونحن نعلم ما بين النون والميم من تقارب ، مما يوضح مدى التناسق والانسجام بين فواصل الآيات الكريمة .

٩- ظهر من خلال هذه الآيات الكريمة أن الفاصلة تلتحم بالآية التحامًا تامًا ، فتظهر أهميتها في تأكيد معنى الآية التي هي جزء منها، أو تكون ردا على شيء فيها ، أو تكون بمثابة السبب لمعنى الجملة التي سبقتها .

كانت هذه هي أهم نتائج البحث، والله أسأل أن يجعل عملنا هذا صالحا، ولوجهه خالصا ، وأن يحوز القبول والرضا عند من يقرؤه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دكتور

خالد إبراهيم مصطفى متولي العايشة

(١) سورة البقرة/٢٤٦ .

فهرس المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

(١) الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم ، محمد قطب عبد العال – بحث منشور على شبكة الإنترنت .

(٢) الأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس – مكتبة نهضة مصر .

(٣) الإعجاز في نظم القرآن د . راغب السرجاني – بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) – ملتقى أهل التفسير .

(٤) البحث اللغوي عند العرب د . أحمد مختار عبد الحميد عمر – عالم الكتب – الطبعة الثامنة ٢٠٠٣م .

(٥) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ) – تح/ صدقي محمد جميل – دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ .

(٦) التعبير القرآني د. فاضل صالح السامرائي – دار عمار – عمان الأردن – الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

(٧) التَّفْسِيرُ البَسِيْط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) – عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ .

(٨) تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٨٩هـ) – تح/ ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس غنيم – دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

(٩) جامع البيان عن تأويل آي القرآن(تفسير الطبري) لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) – تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – دار هجر للطباعة والنشر– الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م .

(١٠) جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) – المحقق: رمزي منير بعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الأولى١٩٨٧م .

(١١) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي – ضبطه وصححه وخرج أحاديثه محمد عبد القادر شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان .

(١٢) دراسة الصوت اللغوي د . أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

(١٣) العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي لهنري فليش – تعريب وتحقيق وتقديم د . عبد الصبور شاهين – مكتبة الشباب .

(١٤) علم الأصوات د . كمال بشر – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠٠م .

(١٥) علم الصوتيات د. عبد الله ربيع محمود ، د. عبد العزيز أحمد علام – مكتبة الرشد – المملكة العربية السعودية ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

(١٦) فقه اللغات السامية تأليف المستشرق الألماني كارل بروكلمان – ترجمه عن الألمانية د . رمضان عبد التواب – ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م .

(١٧) في ظلال القرآن (تفسير الظلال) لسيد قطب – دار الشروق – الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

(١٨) في علم الأصوات اللغوية وعيوب النطق، د. البدراوي زهران – دار المعارف – الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

(١٩) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ .

(٢٠) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) – تصحيح: محمد علي شاهين – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ .

(٢١) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ .

(٢٢) اللغة الشاعرة، عباس محمود العقاد – المطبعة العصرية، بيروت .

(٢٣) اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان – دار الثقافة ١٩٩٤م .

(٢٤) مبادئ اللسانيات لأحمد محمد قدور– دار الفكر دمشق سوريا – الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

(٢٥) المدخل إلى علم أصوات العربية د . غانم قدوري الحمد وما بعدها – دار عمار للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

(٢٦) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د. رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

(٢٧) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) – تح/ عبد السلام محمد هارون – دار الفكر – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢٨) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة – ١٤٢٠هـ .

(٢٩) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) – دار الفكر بيروت .

(٣٠) مقدمة في أصوات اللغة العربية د . البركاوي – الطبعة الثانية .

(٣١) مكانة الفواصل من الإعجاز في القرآن الكريم للأستاذ محمد رجاء عبد المتجلي : ص٨ – بحث منشور على شبكة الإنترنت .

(٣٢) مناهج البحث في اللغة د. تمام حسان – الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية ، ودار الثقافة – الدار البيضاء ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٣٣) النبر فى نطق العربية الفصحى فى العالم العربى د. عبد الله ربيع محمود – مكتبة المدينة.

(٣٤) النقد الأدبي الحديث د. محمد غنيمي هلال – نهضة مصر ،القاهرة ٢٠٠١ م .

(٣٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – تح/ عبد الحميد هنداوي – المكتبة التوفيقية – مصر .

****